



الهند.. صراع الأديان والسلطة



فاطمة ناصر

يحمل المقال الأصلي للكاتب كريستوف جافريلو- مدير أبحاث في المركز القومي للأبحاث العلمية بفرنسا - عنوان (مظاهر التدين الجديد في الهند والرهانات السياسية). وهو مقال قيم للقارئ العربي الذي قد لا يعرف الكثير عن هذا البلد. فالداخل العربي بصراعاته الدينية والمذهبية والسياسية قد أعمى العقول عن الصراعات المشابهة في دول العالم. لم يكن هذا المقال سهلاً للعرض بسبب الغموض الذي تسببت به ترجمة في بعض المواضع.

ولمجاهة الإرساليات المسيحية في أورايبون. فأنشأت المدارس ومبيلات الفتيات ومراكز التكوين والمستشفيات. كما أنه اشتغل على تنمية الحس القبلي لدى قبائل الهندوس ضمن أداة أنشأها التجمع الهندوسي العالمي بمسمى (Tribal welfare department) وعملت خلال الفترة (١٩٤٨ - ١٩٥٧). توسع هذا التجمع وأنشأ مقرات متعددة له وزادت نشاطاته في ظل تساهل الحكومة الهندية. كما يقوم المجمع بتجمعات سنوية مهيبه تلقى فيها المواظ ويقام فيها طقس البوجا الجماعي؛ ففي ٢٠٠٢ تجمع ما يقارب ٢٥٠ ألف شخص في جابوا وحدها، وتجمع في ٢٠٠٤ بمنطقة عليراجبور ٤٠ ألف شخص. حقق التجمع نجاحاً أثبتته الأرقام لنا فبين ١٩٧٨ إلى ١٩٨٣ زادت مراكز حضوره من ١٥ إلى ٩٢ وزادت عدد المراكز الصحية المجانية من ٣٧ مركز في ١٩٧٨ إلى ١١٨ في ١٩٨٣.

التبشير الهندوسي لا يكفي فهل من مزيد

لم يكتف الهندوس بتقليد التبشير المسيحي عبر توفير الخدمات الضرورية بشكل مجاني، بل عمدوا إلى أنشطة فعالة وذلك بتوظيف قوتهم الحزبية من خلال (حزب الشعب الهندي) الذي دعم الجمعيات والمنظمات الهندوسية في إقامة مظاهرات ضد المسيحيين خاصة في فترات الأعياد وكثرت هذه الأنشطة في التسعينيات. كما عمدت بعض المنظمات الهندوسية إلى استغلال الشبان العاطلين عن العمل عبر دفع مبالغ مالية لهم وذلك لمراقبة أنشطة المسيحيين. وبهذا زادت أعمال العنف اتجاه المسيحيين والمسلمين حيث أصبح المسلمون في ٢٠٠٠ مستهدفين من الهندوس المتشددين في غوجارات التي حصلت بها مذبحه في ٢٠٠٢.

خاتمة

لم تنته القصة بغلبة الهندوس القوميين وتعاطيهم العنيف مع المسيحيين والمسلمين بل إن الحدة زادت من كل الأطراف؛ فالمسيحيون وخاصة بعد تولي سونيا غاندي -الإيطالية الأصل المسيحية الديانة - حزب المؤتمر أصبح المسيحيون أكثر عنفاً بسبب استنادهم على قوة السلطة التي باتت في أيديهم. في تكرار للقصة ذاتها حين استوحش الهندوس ضد المسيحيين والمسلمين بعد توليهم للسلطة. وهكذا سيكون حال كل دين يعيش في بلد لا يفصل الدين عن السياسة بل تميز قوانينه ديناً عن آخر متى ما حصل معتنقوه كرسياً في السلطة. الهندوس والمسيحيون والمسلمون يمكنهم العيش جنباً لجنب حين لا يفرق وطنهم الأم بين أبنائه.

والمسيحية تعتمد على سياسة التوغل دون مواجهه ولكن بالتدرج والتحبب التدريجي. ويرى الهندوس أن نجاح الدعوة الإسلامية والتبشير بالمسيحية ناتج عن عدم قدرة الهندوسية على حماية نفسها.

الأرقام تتحدث

قدمت ولاية ماديا براديش برئاسة رافيشانكار شوكل - رئيس حكومتها- تقريراً مفصلاً عن نشاطات وتمويل حركة التبشير للمسيحية في الهند. أهم تفاصيل التقرير الذي تم تقديمه عام ١٩٥٥:

زيادة عدد المبشرين في العدد بعد أن كان ٤٣٧٧ في ١٩٥١ إلى ٤٨٧٧ خلال ٣ سنوات.

زيادة التمويل خلال الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٤ تبلغ ٢.٩ مليار روبية. (ثلث هذه المبالغ أتت من الولايات المتحدة الأمريكية) الغرض منها بناء: المدارس ودور الأيتام والمستشفيات.

خلاصة التقرير: خطر عظيم على أمن الهند الذي سيهدده وجود مناطق منه متحيزة للغرب بفعل تحولها للمسيحية، وكذلك الذين تحولوا للإسلام ليسوا بمنأى من هذا الاتهام فلديهم معتقد ببناء أمة إسلامية.

أحداث فارقة

أحداث ناجالاند في ١٩٦٣ تسكنها قبيلة ناغا التي يطالب أربعة أخماس سكانها بالاستقلال عن الهند.

القوانين المتحيزة

حاولت الأحزاب الهندوسية حماية نفسها عبر تشريعات قانونية تتلخص في الآتي: «لا يخول لأي كان تغيير دين شخص ما، أو محاولة ذلك، سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، وسواء باستعمال الإكراه أو التفرير أو بأي أسلوب مماثل، ولا يخول لأي أحد كان المساعدة في عملية التحول الديني» هذا هو المبدأ العام الذي تتفق عليه كافة التشريعات ولكنها تختلف فقط في درجة العقوبة فهي تتراوح بين السجن لمدة سنة وثلاث سنوات وغرامة تتراوح بين ٥٠٠٠ و٥٠٠٠٠ ألف روبية. وهذه القوانين تهدف إلى الحفاظ على عدد الهندوس من التناقص الذي تسببت به حركات التبشير الدينية.

لكل فعل ردة فعل (الشوذهي) حركة التبشير الهندوسية

لجأ الهندوس عبر عملية الشوذهي إلى تقليد حركات التبشير وأساليبها وإعادة المتحولين إلى حضن الهندوسية. نشأ في عام ١٩٥٢ لمواجهة الجماعات الإسلامية في مقاطعتي ريجاره و سورغوچه

لمحة تاريخية عن التحولات الدينية في الهند

غالبية التحولات الدينية في الهند تكون جماعية وليست فردية. مع وجود حالات نادرة للتحول باقتناع شخصي كتحويل الإمبراطور أشوكا ٢٧٣ - ٢٣٧ م من البرهمية إلى البوذية. أما أشهر التحولات الجماعية من دين لآخر كان محركة الأول الشعور بالظلم من قبل الدين الأصلي. وهذا ما حصل في حالة تحول طبقة الحرفيين الهندوس المصنفين في آخر سلم التراتبية الاجتماعية وتحولهم إلى الإسلام، وما حصل للمنبوذيين الهندوس الذين يفضلون تسمية (داليت) حين تحولوا إلى البوذية في ١٩٥٠.

حركات التبشير وأثرها على الهند

لقد ساهمت حركة التبشير المسيحية في ظهور حركات دفاعية خاصة من قبل النخب الهندوسية المحافظة والمنخرطة في العمل السياسي. وفي القرن العشرين بلغت ذروة هذا النشاط الدفاعي خاصة حين بدأ عمليات التعداد وإحصاء عدد الأفراد ومعرفة كم يبلغ عدد أتباع كل ديانة. وعلى الرغم من أن التحول من دين لآخر يجري من قرون وليس بالأمر الجديد، إلا أن القوميين الهندوس يصرون على إلصاق عملية التحول من دين لآخر بالتوجهات الشريرة التي تهدف إلى سلخ الهنود من جلدتهم الأصلي المتمثل في الهند. فالأديان المتحول إليها كالإسلام والمسيحية هي أديان غريبة واردة إلى الهند وليست أديانا هندية أصلية.

الأهليون.. البسطاء هدف الجميع

يعرف الأهليون في الهند باسم «أديفاس - adivasis» وهي تعني الذين كانوا هناك في الصدارة. وهم تلك الجماعات البسيطة ذات المهن البسيطة والتي تعاني في الغالب من ضغوطات اجتماعية ومادية. ويتمركزون بشكل أساسي في شمال شرق الهند على الحدود مع الصين، وفي الحزام القبلي الرابط للهند من بهار إلى غوجارات. وفعلاً تحولت أعداد كبيرة من هذه الجماعات إلى الإسلام لتحصل حسب ما ظنت على الكرامة والاحترام، كما أغراها التبشير المسيحي بالرعاية الصحية والخدمات التعليمية. تحولت أعداد كبيرة في المسيحية. هذا التحول لقبائل بأكملها غير ملامح العديد من القرى مثال: ميغالايا وميزورام وناجالاند التي تغيرت لغة الناس فيها إلى اللغة الإنجليزية.

القوانين تكفل التبشير للجميع

سمحت الهند عبر قوانينها حق التبشير لكافة الديانات؛ فالإسلام والمسيحية ليس لهما حق احتكار الدعوة لهما، وفي وجهة نظر الهندوس القوميين فإن الإسلام يصرح بدائه للفكر الهندوسي